

اهمية الصياغة الدقيقة للاصطلاحات العلمية

أ.د. سليم علي الوردي

كلية التراث الجامعة/ قسم المحاسبة

المستخلص

تتناول الورقة الدور الخطير لدقة صياغة الاصطلاحات العلمية في اكتساب المعارف الصحيحة والمعقدة . وخلافه تضطرب مأكنة المعرفة في الحقل المعني ، وترتخي اجزاؤها ، وتتعرض للعطب والاندثار .

وعلى هذا النحو تؤكد الورقة على اشتراطات صياغة الاصطلاحات العلمية : الوضوح ، الدقة ، العمق وعدم التناقض لخدمة اغراض البحث العلمي ، وبما لا يخلق اي هامش للبس وتباين التأويل . فالاصطلاحات العلمية فلسفيا هي : مقدمات تبني عليها النتائج . فان لم تكن دقيقة ومحكمة يشوب الشك صحة النتائج .

واذ ان معظم الاصطلاحات العلمية مترجم عن اللغات الاجنبية ، يترتب على المترجمين ان ينقلوا بامانة الدلالات المعرفية للاصطلاح ، وان يجدوا له مقابلا دقيقا في اللغة العربية . وان لم يجدوا يفضل ان ينقل بلفظة الاجنبي الى العربية . فالابقاء على اللفظة الاجنبية مع الحفاظ على دلالتها المعرفية ، افضل من ايجاد مقابل له في العربية لايفي بالغرض من حيث الدلالة المعرفية . وقد ضربت الورقة مثلا على ذلك : ترجمة اصطلاح " الامبريالية " الاجنبي الى " الاستعمار " في اللغة العربية ، (بمعنى الاعمار والبناء) وهو ما لا يتضمنه اصطلاح الامبريالية في اللغات الاجنبية .

ان التطلع الى مستقبل ثقافي اكثر تقدما يخدم شؤون المعرفة المختلفة يتطلب غربة تلك الاصطلاحات ، والابقاء على الدقيق منها واعادة صياغة الملتبس . وهذا ينطبق بصورة خاصة على العلوم الانسانية ، التي رزحت ردحا طويلا من الزمن للاملاءات العقائدية والسياسات المؤدلجة . ويتطلب ذلك من رجال الفكر - كل في مجال اختصاصه - تدقيق الاصطلاحات وتمحيصها ، والوقوف على جذارتها المعرفية من حيث دقة الصياغة والدلالة والتخلي عن الاصطلاحات الملتسبة .

1 - اطار الورقة

1.1 المقدمة

اذا توخينا اكتساب معارف صحيحة ومعقمة ، يجدر بنا بادئ ذي بدء ان نهتم بدقة صياغة الاصطلاحات التي نعتدها . فهي البراغي التي تشد اجزاء الماكنة في الحقل المعرفي المعني ، فان ارتخت تعرضت الماكنة للعطب والاندثار السريع .

لقد عانى الفضاء المعرفي في العراق ردحا طويلاً من الزمن من الانفلات الاصطلاحي - وخاصة في العلوم الانسانية - بسبب هيمنة الثقافات العقائدية ، التي حاولت ان ترقى بعقائدها الى مسلمات معرفية ، تفرض اصطلاحاتها الفكرية والعقائدية ، التي قلما كانت تخضع للفحص والتدقيق . ولاسيما المفاهيم المستوردة والمترجمة عن لغات اجنبية .

ان التطلع الى واقع معرفي اكثر تقدماً يخدم شؤون الحياة المختلفة ، يتطلب غربة تلك الاصطلاحات في حقول المعرفة وخاصة الانسانية التي تعنى بالظواهر الاجتماعية والسياسية التي طالما خضعت لاملءات الهيمنة العقائدية والايديولوجية . ويتطلب ذلك من رجال العلم - كل في اختصاصه - تدقيق الاصطلاحات وتمحيصها ، والوقوف على جذارتها المعرفية من حيث دقة الصياغة والدلالة ، والتخلي عن الاصطلاحات الملتبسة .

2.1 فرضية البحث :

ثمة مقولة شائعة مفادها : " خطأ شائع خير من صحيح ضائع . نتحفظ ازاء هذه المقولة ، لانها مانعة وترجح الدلالات الملتبسة والخاطنة لشبوع تداولها ، على الدلالات الصحيحة لمحدودية انتشارها . لأن هذا يتنافى مع غايات واهداف المعرفة الانسانية . فالاصطلاحات - فلسفياً - ترقى الى مستوى المقدمات التي تبني عليها الاستنتاجات بعد اخضاعها للبحث . والمقدمات الخاطنة او الملتبسة تقود الى نتائج خاطنة او ملتبسة .

3.1 هدف البحث :

اولاً- القاء الضوء على مفهوم الاصطلاح العلمي والشروط اللازمة في صياغته ووضوح دلالاته ، بما لا يخلو اي من اشكال اللبس واختلاط المعنى .

ثانياً - التأكيد على اعتماد واشاعة الاصطلاحات الدقيقة من حيث الصياغة اللغوية والدلالة المعرفية ، والتخلي عن الاصطلاحات الملتبسة او الخاطنة وان كانت شائعة .

2 - المبحث الاول

صياغة الاصطلاحات

1-2 الاصطلاح لغة

ليس هناك فرق بين مفردتي " الاصطلاح " و " المصطلح " من حيث الدلالة اللغوية ، فهما ينتميان الى مصدر واحد - اصطلاح : ويعني معجميا على اتفاق طائفة على شخص مخصوص ، زال ما بينهم من خلاف . واصطلحوا على الامر : تعارفوا عليه واتفقوا¹.

يتناول التعريف اعلاه الاصل اللغوي للاصطلاح ، ولكنه من السعة ما يجعله فضفاضاً ، ما قد يخل بصرامة الدلالة المعرفية للاصطلاح العلمي (Scientific Term) وإذا كان يشير الى اتفاق القوم وتواضعهم على الاصطلاح ، فانه لا يؤول الى فحوى الاتفاق ودلالته . فقد يصطلح القوم على اصطلاح ما ولكنه ينطوي على التناقض بين الدلالة المعرفية والدلالة اللغوية المعتمدة ، وهو ما سنكرس له المبحث الثالث . ولهذا نقول ليس كل ما اصطلاح عليه الناس والفوه يرقى بالضرورة الى مصاف الاصطلاح العلمي .

2-2 الاصطلاح فلسفياً :

الاصطلاح احد عناصر اللغة العلمية تملئ ادخاله في احد حقول المعرفة الحاجة الى مفهوم دقيق واضح لا يحتمل اللبس ، ولاتظير له في اللغة الاعتيادية المتداولة .

ويرقى المصطلح على المستوى الفلسفي الى مصاف المقدمة المنطقية التي تبني عليها الاستنتاجات والاحكام . ولكي تأتي الاستنتاجات والاحكام صحيحة يجب ان تكون المقدمات Premisses المنطقية صحيحة . وغير متناقضة²

3-2 مواصفات المصطلح العلمي

الاصطلاح العلمي يعبر من فكرة لها معنى واحد دلالة محددة . ولكل حقول معرفي منظومة من الاصطلاحات الاختصاص او ما يسمى ب Terminology . ونظرا لخطوره دور الاصطلاح العلمي في تحديد وضبط مسارات البحث ، ينبغي الاهتمام الكبير بدقة صياغته لغويا ومنطقيا .

¹ المعجم الوسيط ، اسطنبول ، تركيا 1989 صفحة 520

² A. Dictionnaire of philosophy , Edited by M. Rozental , and p.Yodin , M ockow 1967 P. 448

يتناول الكاتب د. نبيل علي في كتابه : " العقل العربي ومجتمع المعرفة " ³ الشروط التي يجب ان يتصف بها الاصطلاح العلمي ، بوصفه معيارا قياسيا ، نوجزها ادناه بتصرف :

- أ - الوضوح : القدرة على بلورة الفكرة وبيان القصد والمقصود واعطاء الامثلة التوضيحية
- ب - التحديد المحكم : ضبط الاصطلاح واحكام صياغته ، بما لا يترك مجالا للبس والتأويل .
- ج - الدقة : يوفر وسيلة للتحقق من مدى صحة الاصطلاح وصدق تعبيره عن حقائق الاشياء .
- د - المغزى : تحديد اوجه الصلة بين ما يطرحه الاصطلاح من فكرة والمسألة محل البحث .
- هـ - العمق : ان لا يتعامل مع سطوح الاشياء والظواهر واعراضها ، بل مع جوهرها
- و - الشمولية : الاحاطة بالجوانب المختلفة للمشكلة محل البحث .
- ز - الاتساق : ان تتسق النتائج مع المقدمات
- ح - عدم التناقض : ان لا تتناقض الصياغة اللغوية للاصطلاح مع دلالاته المعرفية .

وبقي ان نميز بين المصطلح العلمي والمفردة الادبية ، حيث تحمل الاخيرة

معان مجازية الى جانب معناها الاصلي . فللكلمة الادبية معنى وظلال معاني (Nuances) حيث للمجاز (Connotation) مجال واسع في لغة الادب ، وهو ما لا يحتمله الاصطلاح العلمي .

³ د. نبيل علي ، العقل العربي ومجتمع المعرفة (الجزء الثاني) اصدار سلسلة " عالم المعرفة " العدد 370 ، الكويت 2003 صفحة 23 - 24

3- المبحث الثاني

التقاطع بين الصياغة والدلالة

3-1 ان اكبر لبس يقع في الاصطلاح عندما تتقاطع دلالاته اللغوية مع دلالاته المعرفية

. ونجد مثل هذا التقاطع بصورة سافرة في اللغة السياسية للعرب متمثلا في اصطلاح " الاستعمار " .

3-2 " الاستعمار " اصطلاح سياسي مراوغ :

الاستعمار ، من اكثر الاصطلاحات السياسية تداولاً في اللغة العربية المعاصرة ، المنطوقة منها والمكتوبة . وهو اصطلاح مستحدث في اللغات الاجنبية ، فما بالك بما يقابله مترجماً الى العربية . دخل اصطلاح الامبريالية Imperialism الى معاجم الانكليزية سنة 1826 كما يفيد معجم ويبستر الامريكي⁴ واستبعد انه نقل وترجم الى العربية وقتذاك ، لغياب قنوات التواصل الثقافي بين العرب والغرب في حينه . ولعله انتقل مترجماً الى العربية في نهايات القرن التاسع عشر او مطلع القرن العشرين ، مع بدايات تبلور النزعة الاستقلالية عن الهيمنة العثمانية لدى دوائر من المثقفين والمتنورين العرب حينذاك .

والان دعونا نحاكم كلمة " الاستعمار " من حيث دلالتها في اللغة العربية. ومرجعنا وحكمنا في ذلك هو القرآن الكريم . تقول الآية 61 من سورة هود : " هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها " . وهي خطاب موجه الى الانسان يحثه الله سبحانه وتعالى الى اعمار الارض فهي المهمة الاساس التي اوكلت اليه. لنرجع الى تعاريف الامبريالية في المعاجم الانكليزية ، لننتقص : هل تتضمن دلالة الاعداد التي على اساسه صيغ اصطلاح الاستعمار في العربية .

يفيد تعريف معجم ويبستر الامريكي للامبريالية : انها سلطة امبراطورية تقوم على السيطرة والتوسع وضم اراضي الغير ، بما يحقق الهيمنة عليها سياسيا واقتصاديا⁵ . اما معجم اوكسفورد البريطاني فينص على ان الامبريالية هي : منظومة يسيطر بموجبها بلد على بلدان اخرى ، غالبا بعد دحرها في الحرب . وبهذا يزيد نفوذه على البلدان الاخرى من خلال الاقتصاد والثقافة⁶ .

وهنا ينشأ السؤال : من سوغ لمن ترجم اصطلاح الامبريالية الى العربية ان يستنبط دلالة الاعداد ، التي لم ترد في اصل الاصطلاح الاجنبي ؟

⁴ Merriam Webesters Collegiate Dictionary Eleventh Edition , U.S.A 2004 P. 623

⁵ المصدر السابق

⁶ Oxford Advanced Learners Dictionary 7th Edition , University Press 2005 P.778

يتراءى لي انه اجتهاد من المترجم ، يعبر عن رؤيته للواقع الحضاري والتنموي في الغرب قياسا الى الواقع شديد التخلف للعرب تحت هيمنة الامبراطورية العثمانية ، واستنتاجه ان تحديث البلدان العربية لايتحقق الا بانسلاخها عن الامبراطورية العثمانية والتحاقها بركب الامبريالية الغربية المتحضرة التي ستؤمن لها التنمية والاعمار والتطور .

طالما تساءلت : اذا كان " الاستعمار " لغة يحمل دلالة الاعمار لماذا رفعنا - وما نزال - شعار : " يسقط الاستعمار " ؟ .

انني اجد ان " الاستعمار " اصطلاح مراوغ ، ويتعذر الامساك بدلالاته ، ولكننا نمعن في تداوله من دون ان ننتبه الى الاشكالات المنطقية التي نقع فيها . واذا توغلنا في الفكر السياسي العربي المعاصر وانتكاساته سنجد جذورها ثابوية في ضبابية اصطلاح " الاستعمار " .

ان اصرارنا على استخدام اصطلاح الاستعمار بالدلالات السلبية التي نقصدها يعد انتهاكا فضا لضوابط صياغة الاصطلاحات العلمية ، التي تؤكد ضرورة وحدة الداليتين اللغوية والمعرفية . وحري بنا ان نتقصى عن مفردة لغوية اخرى تلبي المضامين التي نقصدها باصطلاح " الاستعمار " .

بعد الثورة الايرانية وتأسيس دولة ايران الاسلامية ، تنبه الايرانيون الى التناقض الذي يختزنه اصطلاح الاستعمار ، فاستبدلوه بمفردة " الاستكبار " والاستعمار العالمي " . اما انا فأميل الى مفردة " الاستئثار " ، فالامبريالية تؤثر مصالحها على مصالح الشعوب الضعيفة .

4 - المبحث الثالث

اختلاط الاصطلاحات

(الكفاءة و الكفاية)

نقف عند هذين المفردتين : الكفاءة و الكفاية ، بسبب تقاربهما من حيث اللفظ . الامر الذي يقود الى الخلط بينهما في الاستخدام احيانا . فنقول كفاءة ونحن نقصد كفاية وبالعكس . ولكن حين نتقصى عنهما وفق معايير الاصطلاح سنقف على اختلاف بينهما من حيث الدلالة . ان اصطلاحي " الكفاءة " و " الكفاية " ينتميان الى علوم الادارة والاقتصاد . ومن نافلة القول ان هذه العلوم نشأت وشقت طريقها في الادبيات الغربية الحديثة ، لحاجات التطور الاقتصادي (والصناعي خاصة) العاصف الذي شهده الغرب ، وما يزال .

نواجه في الادبيات الادارية والاقتصادية الاجنبية مصطلحين هما الكفاءة Efficiency و الكفاية Sufficiency . وحين نعود الى اشتقاق كل منهما في اللغة العربية نجد :

1-4 الكفاءة :

لها معاني واستخدامات كثيرة معجميا . ولكن لاغراض هذا البحث نلقي الضوء على المعنى الذي يلبي متطلبات و دلالات المصطلح العلمي المنشود . فكفاءة العمل : هي القدرة عليه وحسن تصريفه⁷ . وهو مايعني حسن تدبير الموارد المالية والمادية والبشرية المتاحة للمنظمة او المؤسسة ، بما يحقق افضل النتائج والعوائد . وهو مايسوّغ لنا ان نرادفها بمفردتي " الجدارة " و " الفاعلية " وما يقابلهما

بالانجليزية Efficiency

2-4 الكفاية :

الكفاية مشتقة من " كفى " : ويعني الاستغناء بالشئ عن غيره ، فهو كاف . وغالبا مايزاد بحرف الباء كما جاء في التنزيل العزيز : " وكفى بالله شهيدا " . ومنها مقولة : الاكتفاء الذاتي في الاقتصاد ، مايعني ان يستغني البلد بموارده وانتاجه عن الاستيراد من غيره⁸ . وما يقابل في اللغة الانكليزية

Self-Sufficiency

⁷ المعجم الوسيط (مصدر سابق) صفحة 791

⁸ المعجم الوسيط (مصدر سابق) صفحة 793

3-4 تداخل المصطلحين :

نحن امام اصطلاحين مختلفين من حيث الدلالة ، وان تداخلا في بعض الواجه وتقاطعا في اوجه اخرى . فلا تتحقق الكفاءة للمنظمة ، مالم تتوفر لديها ما يكفيها من الموارد المطلوبة . ولكن من جانب آخر فان توفر الموارد وكفايتها لايحققان دائما الكفاءة المطلوبة الا بحسن ادارة هذه الموارد والتصرف بها .

ان اخطر مشكلة يواجهها الاقتصاد العراقي الآن القائم على ريع النفط ، هو غياب الكفاءة في ادارة الموارد وليس في شحتها او عدم كفايتها . ولهذا نجد امام الفكر السياسي في المرحلة الراهنة مهمة اشاعة مفاهيم الكفاءة والجدارة والفاعلية . فزيادة عوائد النفط كما يبشرنا اصحاب القرار لانتشدهم العراقيين لتدبير مستقبلهم ومستقبل الاجيال القادمة ، مالم يقترن ذلك بزيادة وعيهم بادوات الكفاءة في ادارة الموارد المتوقعة .

5 - عوض عن التوصيات

1-5 تخرج هذه الورقة عن السياقات المنهجية للابحاث الاكاديمية ، التي تملئ ان يختتم البحث بتوصيات . لان التوصيات لابد ان تعنون الى جهات بعينها . وربما يصعب تسمية مثل تلك الجهات الفاعلة المؤهلة للنهوض بها . فضلا عن ان الاشكالية التي تتناول الورقة اعراضها انما تنتمي في جذورها الى اشكالية اكبر بكثير من ان تستوعبها مقالة او ورقة بحث . لانها تتعلق بمستوى نضج وعي المجتمع ومسيرته المدنية التي لاتشق طريقها من دون استحقاقات كثيرة على مستوى : الاجتماع والسياسة والاقتصاد والثقافة بضروبها المختلفة .

2-5 تشي لغة القوم في مناحي الحياة كافة عن وعيهم وثقافتهم . لانها وسيلة الاتصال والتواصل بين الناس ، وبها تسجل مدوناتهم وتتم مخاطباتهم بعضهم الآخر ، ومن خلالها يتفاهمون .

وفي ضوء هذه الحقيقة يبدو لي ان اللغة الفاعلة في التواصل بين الناس هي تلك التي تزداد فيها الاصطلاحات التي يتوافق الجميع على دلالاتها المحددة بوضوح ومن دون اي لبس ، ولا تحتمل التأويلات المختلفة . وعلى العكس من ذلك فان اللغة التي تكثر فيها المترادفات على معنى معين محدد ، فانها تسمح لتباين التفسير والتأويل في الاستخدام . ليس مؤشرا عن وكثرة المترادفات التي تشترك بمعنى محدد واحد ، هو ثراء اللغة ، فان كثرة التسميات ذات الدلالة الواحدة في اللغة العربية مردها الى اختلاف القبائل في تسمياتها السيف والاسد وغيرهما . ان معيار ثراء اللغة تتمثل في كثرة وتعدد المفاهيم في ذاتها ، وليس في كثرة التسميات والتوصيفات .

3-5 بسبب تخلف الشعوب العربية عن ركب الحضارة العالمية المعاصرة فإنها تحتاج الى استضافة الكثير من الاصطلاحات العلمية المستحدثة . هنا تنتصب مهمة الترجمة في حسن استقبال واستضافة تلك الاصطلاحات ، وان تكون امينة ودقيقة في نقل الاصطلاح الاجنبي الى العربية ، والا فلتنتقله بلفظة الاجنبي كما هو الى العربية . تناولت الورقة اللبس الذي وقعت فيه ترجمة " الامبريالية " استعمار التي تتضمن في العربية معنى الاعمار والبناء وهو ما لا يتضمنه الاصطلاح " الامبريالية " في اللغات الغربية . واتساءل : اما كان اجدى بنا ان ننقل اصطلاح " الامبريالية " كما هو الى العربية بمضامينه التوسعية والاستثنائية بخيرات الشعوب والتحكم بثقافتها ، من ان ننعى عليه صفة الاعمار والبناء !

ان اللغات الاجنبية للشعوب المتحضرة ، تضيف الى معاجمها كل سنة عشرات المفردات الاجنبية - وبضمنها العربية - من دون حرج ، فلماذا نتحرج نحن من دخول اصطلاحات اجنبية مستحدثة الى لغتنا العربية ونعدّ ذلك انتهاكا لقدس اللغة العربية . انهم يفخرون باستضافة المفردات الاجنبية الى معاجمها دليلا على اثرانها . اما نحن فنرى في ذلك عدوانا على عربيتنا !!

4-5 يترتب على رجال الفكر كل في مجال اختصاصه ان يكون جريئا في اخضاع الاصطلاحات المتداولة للتحليل الدقيق ، للوقوف على مدى تلبيتها للدلالات المعرفية التي يفترض ان تختزنها وتعبر عنها ، وان لا يتحرجوا في تناولها والتحدث عنها .

اتذكر اننا حتى سبعينيات القرن الماضي كنا نسمي الموازنة العامة " ميزانية " فوجد الفكر الاقتصادي ان اصطلاح " الميزانية " لايلبي دلالات الموازنة . لان الميزانية اصطلاح محاسبي يعبر عن وضع المنظمة او المؤسسة كما هو عليه في 31 من شهر كانون الاول من كل سنة ، من حيث المطلوبات والموجودات .

اما " الموازنة " فهي اصطلاح تخطيطي ديناميكي متحرك على مدى السنة القادمة محل الموازنة . انه لايتناول الموجودات والمطلوبات . بل الايرادات والنفقات بوصفهما تيارين على مدار السنة . وحين تم الاتفاق على اصطلاح " الموازنة العامة " اعتمد منذ ذلك الحين ، وعدل قانون " الميزانية " بقانون " الموازنة " وهو الآن اصطلاح ومفهوم تماما .

اهم المصادر

- 1 - د. نبيل علي ، العقل العربي ومجتمع المعرفة (الجزء الثاني) اصدار سلسلة " عالم المعرفة " العدد 370 الكويت 2993
- 2 - A Dictionary of Philosophy , Edited by : M. Rozental and P. Yodin - 2
Meckow 1967
- 3 - معجم علم الاجتماع الماركسي (الترجمة البلغارية) صوفيا 1972
- 4 - Merriam Webster s Collegiate Dictionary , Eleventh Edition U.S.A - 4
2004
- 5 - Oxford Advanced Learn s Dictionary 7th Edition , University Press - 5
2005
- 6 - المعجم الوسيط ، اسطنبول - تركيا 1989